الباب الثالث

آثار البطالة

٤٦

مـا أن ينهـي كلّ فـرد مرحلـة الثانويّـة العامّـة، حتّـى يصبـح التخصّـص الجامعـيّ الـذي سينتسـب لـه هـو شـغله الشـاغل، فيتطلّـع إلى وظيفـة فـلان، ومـا تـدرّ عليـه مـن دخـل، ويسـمع نصيحـة ذاك في أكثـر التخصّصـات المطلوبـة في السـوق لتسـدّ حاجتـه ومتطلّباتـه، ويبقـى شـبح البطالـة هـو مـا يخافـه الـدارس الجامعـيّ، أو المقبـل عـلى الدراسـة .

وتشـكل البطالـة سـبباً رئيسـياً لمعظـم الأمـراض الاجتماعيـة في أي مجتمـع ، كـما أنهـا تمثـل تهديـداً واضحـاً للاسـتقرار الاجتماعـي والسـياسي والاقتصـادي ، فالبطالـة بمعناهـا الواسـع لا تعنـي فقـط حرمـان الشـخص مـن مصـدر معيشـته ، وإنـما تعنـي أيضـاً حرمانـه مـن الشـعور بجـدوى وجـوده ويمكـن تلخيـص هـذه الآثـار في النقـاط التاليـة:

الآثار الاجتماعية الناجمة عن البطالة

تـبرز لنـا ظاهـرة البطالـة كتعبـير عـن سـوء العلاقـات الاجتماعيـة وإجحافهـا، كوجـه آخـر لسـوء توزيـع أو تقسـيم العمل

الاجتماعـي، وسـوء توزيـع الدخـل والثـروة، عـلى المسـتويين المحـلي والوطنـي، وعـلى المسـتوى العالمـي بـين الـدول الغنيـة والـدول الفقـيرة، وبالتـالي يتضـح لنـا أيضـاً،أن البطالـة والقهـر والحرمـان التـي تشـكل آفـات اقتصاديـة واجتماعيـة وأخلاقيـة معاً،ليسـت نتيجـة طبيعيـة للتقـدم التاريخـي، خاصـة ليسـت نتيجـة حتميـة للتقـدم العلمـي والتقنـي، كـما يزعـم الفكـر المحافـظ المدافـع عـن المصالـح والامتيـازات المكتسـبة ضـد منطـق العلـم والتاريـخ، إنـما هـي ناجمـة عـن فسـاد وجـور وخلـل أسـاسي في النظـام الاجتماعـي السـائد، في العمليـة الاقتصادية-الاجتماعيـة كلهـا الجاريـة اليـوم في ظـل العولمـة وعـلى جميـع الأصعـدة، الدوليـة والإقليميـة والمحليـة[٨].

إذ يترتـب عـلى البطالـة مجموعة مـن الآثـار الاجتماعية والنفسـية حيـث يشـعر العاطلـون بالإحبـاط واليـأس وعـدم الانتـماء للدولـة، فتنتـشر الجريمـة بأنواعهـا، خاصـة في صفـوف العاطلـين الذيـن لا يتلقـون إعانـة بطالـة خـلال فـترة تعطلـه، ويكـون واقـع البطالـة وما ينجـم عنهـا نتيجـة لفقـدان مصـدر العيـش (الكسـب) أشـد عـلى

٨ - ماهر احمد : المرجع السابق ،ص ٨١ .

القطاعـات الأضعـف في المجتمـع، وهـم الفقـراء والنسـاء، أضـف لذلـك الانحرافـات الفكريـة وانتشـار الشـعور بالحقـد والبغضـاء نحـو الطبقـات التـي تحيـا في بحبوحـة مـن العيـش، ومما هـو جديـر بالذكـر أنـه كلـما طالـت فـترة التعطـل كلـما صـار ضررهـا جسـيماً حيـث تؤثـر تأثـيراً سـلبياً عـلى المواهـب الفنيـة والعقليـة للعامـل فتضمحـل مهاراتـه بـل يفقـد الإنسـان ميـزة التعـود عـلى العمـل وإتقانـه وينحـط مسـتواه.

وتسـاعد البطالـة عـلى زيـادة حالـة مـا يسـمى بالتـشرذم الاجتماعـي، وتـؤدي حالـة التعطـل الدائـم والمؤقـت عـن العمـل ومـا يصاحبهـا مـن مشـكلات اجتماعيـة وضغـوط اقتصاديـة إلى إصابـة غالبيـة الشـباب المتعطـل عـن العمـل بحالـة مـن الإحبـاط الشـديد المزمـن وحالـة مـن عـدم الثقـة بالنفـس خاصـة لـدى الشـباب مـن حملـة الشـهادات المتوسـطة والجامعيـة، مما يدفعهـم إلى التفكـير جديـاً للانتقـام مـن المجتمـع الـذي يرفـض منحهـم فرصـة العيـش الكريـم، وتحسـين أوضاعهـم الاجتماعيـة، وتحقيـق ذواتهـم وتجسـيد طموحاتهـم مـن خـلال تحصنهـم بالعمـل وأيضـاً يدفعهـم

هــذا الشــعور إلى التفكــير جديــاً فى الهجــرة إلى مجتمعــات أخــرى.

ومن أبرز الآثار الاجتماعية:

١. **الجريمــة والانحــراف،** فهنــاك عــدد لا بــأس بــه مــن العاطلين عــن العمــل، تســوء بهــم الأحــوال فيضطــروا للانحــراف عــن الســلوكات الســليمة في ســبيل توفــير احتياجاتهــم مــن مــأكل ومــشرب وملبــس، لا سيّما إن كان الشــخص ضعيــف النفــس مــن الداخــل، ولا يوجــد وازع داخــليّ يردعــه عــن أداء المفاســد.

٢. **تعاطــي المخــدرات،** فقــد تتســبّب البطالــة فى تعاطــي بعــض العاطلــين عــن العمــل المخــدرات ، نتيجــة للتدهــور والمعانــاة النفسيّة التــي يعانونهــا نتيجــة يأســهم مــن إيجــاد عمــل يوفــر لهــم متطلبــات الحيــاة الأساســية، ويحقّــق لهــم الرضــا عــن النفس،والشــعور بقيمتهــا ودورهــا في المجتمــع، فيلجــأون لتعاطــي المخــدرات لاعتقادهــم أنّهــا ستنســيهم مشــاكلهم وهمومهــم، وجديــر بالذكــر أنّ شاشــات التلفــزة ســاهمت

في تعزيـز هـذه الفكـرة بشـكل غـير مبـاشر، عندمـا ركـزّت عـلى أنّ نسـيان الهمـوم والمشـاكل هـو أحـد أسـباب تعاطـي المخـدرات، فأصبحـت تلـك هـي الصـورة الذهنيـة عـن المخـدرات، وسرعـان مـا تحـضر للشـخص – ضعيـف النفس إن صـحّ التعبـير – في حالـة إحاطتـه بالمشـاكل والهمـوم.

٣. **الهجـرة**: أدّت البطالـة إلى هجـرة عـدد كبـير مـن العاطلـين عـن العمـل إلى دول أخـرى؛ في سـبيل إيجـاد مـا افتقـدوه مـن فـرص للعمـل في وطنهـم، كـما هـو الحـال مـع دول الخليـج العـربي، التـي أصبحـت مسـتقطبة لعـدد كبـير مـن العاطلـين عـن العمـل مـن الـدول الأخـرى؛ لمـا تحتويـه مـن ثـروات طبيعيّـة بكميـات كبـيرة كالنفـط، تتيـح اسـتثمار شركات كـبرى لعـدّة مجـالات فيهـا، ممـا يتطلـب المزيـد مـن الأيـدي العاملـة، وهـو مـا يسـعى لـه أولئـك العاطلـين عـن العمـل.

٤. تعمـل مشـكلة البطالـة عـلى إضعـاف عامـل الـولاء للدولـة والوطـن ، وتراجـع حـالات التأييـد والإسـناد للقـرارات

المعلنــة للدولــة .

٥. إن مشـكلة البطالـة قـد تدفـع العاطلـين عـن العمـل الى حمـل العقائــد والأفــكار الهدامــة والمــضرة بالنســيج الاجتماعــي للمجتمــع .

٦. تعمــل البطالــة عــلى تدمــير العلاقــات الأسريــة والقرابــة وعــزوف الشــباب عــن الــزواج .

الصحة النفسية

تــؤدي حالــة البطالــة عنــد الفــرد إلى التعــرض لكثــير مــن مظاهــر عــدم التوافــق النفــسي والاجتماعــي ، إضافــة إلى أن كثــيراً مــن العاطلــين عــن العمــل يتصفــون بحــالات مــن الاضطرابــات النفســية والشــخصية فمثــلاً ، يتســم كثــير مــن العاطلــين بعــدم الســعادة وعــدم الرضــا والشــعور بالعجــز وعــدم الكفــاءة ممــا يــؤدي إلى اعتــلال في الصحــة النفــسية كــما ثبــت أن العاطلــين عــن العمــل تركــوا مقاعــد الدراســة بهــدف الحصــول عــلى عمــل ثــم لم يتمكنــوا مــن ذلــك يغلــب عليهــم الاتصــاف بحالــة مــن البــؤس

والعجز .

ويعـد مـن أهـم مظاهـر الاعتـلال النفـسي التـي قـد يصـاب بهـا العاطلـون عـن العمل:

■ الاكتئـاب : تظهـر حالـة الاكتئـاب بنسـبة أكـبر لـدى العاطلـين عــن العمــل مقارنــة بأولئـك الملتزمــين بــأداء أعــمال ثابتــة ، وتتفاقـم حالـة الاكتئـاب باسـتمرار وجـود حالـة البطالـة عنـد الفـرد ، ممـا يـؤدي إلى الانعـزال والانسـحاب نحـو الـذات ، وتـؤدي حالـة الانعـزال هـذه إلى قيـام الفـرد العاطـل بالبحـث عــن وســائل بديلــة تعينــه عــلى الخــروج مــن معايشــة واقعــه المـؤلم وكثـيراً مـا تتمثـل هـذه الوسـائل في تعاطـي المخـدرات أو الانتحــار .

■ تــدني اعتبــار الــذات: يؤصــل العمــل لــدى الإنســان روابــط الانتـماء الاجتماعـي ممـا يبعـث نوعـاً مـن الإحسـاس والشـعور بالمسـؤولية ، ويرتبـط هـذا الإحسـاس بسـعي الفـرد نحـو تحقيق ذاتــه مــن خــلال العمــل ، وعــلى عكــس ذلــك فــإن البطالــة

تـؤدي بالفـرد إلى حالـة مـن العجـز والضجـر وعـدم الرضـا ممـا ينتـج عنـه حالـة مـن الشـعور بتـدني الـذات وعـدم احترامهـا .

جانب الصحة الجسمية والبدنية

إن الحالـة النفسـية والعزلـة التـي يعانيهـا كثـير مـن العاطلـين عـن العمـل تكـون سـبباً فى الإصابـة بكثـير مـن الأمـراض وحالـة الإعيـاء البـدني كارتفـاع ضغـط الـدم ، وارتفـاع الكوليسـترول ومـن الممكـن أن يـؤدي إلى أمـراض القلـب أو الإصابـة بالذبحـة الصدريـة إضافـة إلى المعانـاة مـن سـوء التغذيـة أو اكتسـاب عـادات تغذيـة سـيئة وغـير صحيـة.

الآثار الأمنية والسياسية

نلاحـظ أحيانـاً بعـض الفئـات العاطلـة التـي يكـون قـد نفـذ صبرهـا ولم تعـد تؤمـن بالوعـود والآمـال المعطـاة لهـا وهـي ترفـع شـعار التململ والتمـرد، ومـع ذلـك لا يمكـن لومهـا لكـن لا يعنـي ذلـك تشـجيعها عـلى المـس بممتلـكات الوطـن وأمنـه، ولابـد أن نلتمـس لهـم العـذر، فمقابـل مـرارة ظروفهـم هنـاك

شـواهد لفئـات منغمسـة في تـرف المـادة، ومـن الطبيعـي أن ينطـق لسـان حالهـم متسـائلاً أيـن العدالـة الاجتماعيـة والإنصـاف؟ كـما أن سياسـة العنـف المفـرط في مقابـل حركـة العاطلـين لا تخلـق إلا مزيـد مـن العنـف والاضطـراب وتفاقـم الأزمـة ، فهنـاك حاجـة إلى التعقـل وضبـط الموقـف والنظـر إلى القضايـا مـن منظـور واسـع وبعـين تقـصي الأسـباب في محاولـة لتفهـم موقـف الآخريـن ، حيـث أن مبـدأ إرسـاء العدالـة الاجتماعيـة تمـلي عـلى الجميـع تكريـس حـق إبـداء الـرأي ورفـع رايـة المطالبـات بالوسـائل السـلمية المشروعـة، كـما أنهـا تلـزم الأطـراف المعنيـة متمثلـة فى الحكومـة باحـترام هـذه الحقـوق واتسـاع الصـدر لـلآراء المختلفـة، لأن المواطـن في نهايـة المطـاف لا يطالـب إلا بحـق العيـش الكريـم والحفـاظ عـلى كرامتـه وإنسـانيته في وطنـه، وهـي جوهـر حقـوق المواطـن التـي يجـب عـلى الحكومـة أن تكفلهـا وتحـرص عليهـا، لا أن تتكالـب عليهـا.

الآثار الاقتصادية

إحـدى نتائـج ظاهـرة البطالـة زيـادة حجـم الفقـر، الـذي يعتبر مـن العوامـل المشـجعة عـلى الهجـرة، ويقـول الخـبراء أن مشـكلة

الهجـرة إلى أوروبـا تـكاد تكـون مشـكلة اقتصاديـة فى الأسـاس، فبالرغـم مـن تعـدد الأسـباب المؤديـة إلى هـذه الظاهـرة، إلا أن الدوافـع الاقتصاديـة تـأتي في مقدمـة هـذه الأسـباب، ويتضـح ذلـك مـن التبايـن الكبـير في المسـتوى الاقتصـادي بـين البلـدان المصـدرة للمهاجريـن، التـى تشـهد غالبـاً افتقـاراً إلى عمليـات التنميـة، وقلـة فـرص العمـل، وانخفـاض الأجـور ومسـتويات المعيشـة، ومـا يقابلـه مـن ارتفـاع مسـتوى المعيشـة، والحاجـة إلى الأيـدي العاملة في الـدول المسـتقبلة للمهاجريـن، حيـث تقـدر منظمـة العمـل الدوليـة حجـم الهجـرة السريـة بـما بـين ١٠ - ١٥٪ مـن عـدد المهاجريـن في العـالم البالـغ عددهـم حسـب التقديـرات الأخـيرة للأمـم المتحـدة حـوالي ١٨٠ مليـون شـخص.

أمـا فيـما يتعلـق بالآثـار الاقتصاديـة للبطالـة عـلى المسـتوى الـكلي فالمعـروف أن أهـم مـؤشر في اتجاهـات الطلـب عـلى العمـل هـو نمـوّ الانتـاج، وبالتـالي فـإن تباطـؤ النمـوّ الاقتصـادي يعنـي ارتفاعـا في معـدّلات البطالـة، وهكـذا فإن الوضـع في المنطقـة العربية بصـورة عامـة ومنـذ التسـعينات تلخـص في ضعـف أداء الانتـاج

مقارنــة بنمــو سريــع في القــوة العاملــة، كــما تبــين الاحصائيــات أن النمــو في القــوة العاملــة قــد فــاق الزيــادة التــي طــرأت عــلى فــرص التوظيــف في المنطقــة العربيــة[٩].

٩ – ماهر احمد : المرجع نفسه ،ص ٨٣ .